مقال

معايرة الطلبة للتقييمات: بين إدارة الذات وإذابة الفروق الفرديّة

صهيب زعارير

يسلّط المقال الضوء على أهمّيّة تعزيز دور معايرة التقييمات بين الطلبة، وذلك لدورها الرئيس والفعّال في صقل شخصيّاتهم، وتعزيز العمق المعرفيّ لديهم، وتطوير التأمّل في ممارساتهم التعليميّة، لتصبح مهارة دوريّة يعتمدونها في مواقف مختلفة، سواء داخل الحجرة الصفّيّة أو خارجها، إلى أن يمارسوها في حياتهم الاجتماعيّة، وتكون سببًا في زيادة خبراتهم وتوسيع مداركهم في جميع مواقف الحياة.

مفهوم المعايرة

المعايرة عمليّة تربويّة منضبطة وفق معايير ثابتة ومتّسقة، تقوم على تقديم تغذية راجعة دقيقة، لتحقيق العدالة وإذابة الفروق الفرديّة، وصولًا إلى تحسين عمليّة التعلّم والتعليم وتطويرها، بما يضمن للطلبة مستقبلًا زاهرًا.

معايرة التقييمات من الوسائل الحديثة التي تسهم إسهامًا واضحًا في تطوير جودة التعليم، وضمان تكافؤ الفرص بين جميع الطلبة. يتجلّى هذا الأمر واضحًا في العديد من برامج

التعلّم الدوليّة، مثل برنامج البكالوريا الدوليّة (IB)، والذي يهدف إلى توفير تجربة تعليميّة متكاملة، وموجّهة نحو تنمية قدرات الطلبة بدرجة واسعة، تساعدهم في اندماجهم وانخراطهم في ما يتعلّمونه. من هنا جاءت أهمّيّة معايرة التقييمات بين الطلبة، لتبرز بوصفها عنصرًا حاسمًا في تحقيق أهداف البرنامج وتطبيق رؤيته وتعزيز دور المعلّم، باستحداث أهمّ الاستراتيجيّات التي توفّر له البيئة المساعدة والداعمة لأفكاره.

ومن الجدير بالذكر أنّ عمليّة المعايرة جاءت من منظور التعلّم عبر السياق، وهذا يعني الدقّة العالية في التعلّم، ومدى التفكير العميق الذي ينمو عند المتعلّم أثناء ممارسة مثل هذه الأنشطة، والتي تعزّز مهارة التفكير النقديّ عند خوض التجربة داخل الحجرة الصفّيّة.

تجربتي الشخصيّة في تطبيق عمليّة المعايرة في حصّة دراسيّة

أنا مدرّس للمرحلة الثانويّة، وتحديدًا للصفّين الحادي عشر والثاني عشر، وكثيرًا ما أستعين باستراتيجيّة المعايرة التي تساعدني في تطوير جوانب مختلفة لدى الطلبة، مثل الثقة بالنفس والقدرة على اتّخاذ القرار في الغرفة الصفّيّة، وحملها معهم إلى حياتهم الاجتماعيّة والحياة الجامعيّة لاحقًا، وغرس روح المسؤوليّة العالية، والفرصة الحقيقيّة لإدارة الذات في جميع المواقف.

التطبيق العمليّ للمعايرة في مهارة الكتابة

أودّ هنا مشاركتكم تجربتي الشخصيّة والممارسة الفعليّة في تطبيق عمليّ للمعايرة في المهمّات الكتابيّة التي أقدّمها إلى الطلبة. بداية، أوزّع الأوراق على الطلبة للإجابة عن جميع الأسئلة، بحيث يجيبون حسب المطلوب. وبعد الانتهاء أقوم بجمع الأوراق، ثمّ أوزّعها من جديد عليهم، شريطة أن يأخذ كلّ طالب ورقة زميل آخر. بعدها يطابقون الإجابات مع الإجابة النموذجيّة، ثمّ يحملون على عاتقهم مسؤوليّة التصحيح وجمع الدرجات واحتساب الأخطاء. هنا يجب ألّا نغفل عن الجانب النفسيّ الرائع الذي يشعرون به أثناء ممارستهم هذه المهمّة، وما تمنحه لهم من الثقة بالنفس بأنّ لهم دورًا كبيرًا في المدرسة، وقدرة على اتّخاذ القرار.

التطبيق العمليّ للمعايرة في مهارة التحدّث

أرغب أيضًا في مشاركتكم ممارسة فعليّة ثانية لتطبيق عمليّ للمعايرة في مهارة التحدّث. يتحدّث الطلبة في حصص اللغة العربيّة حول قضايا ومفاهيم متنوّعة؛ فقد يكون التحدّث عن صورة معيّنة تخدم مفهوم الوحدة التي يدرسونها، أو عن مقالة، أو عن عمل أدبيّ معيّن. ويمكن أن يرسل المعلّم المهمّة وفق استراتيجيّة الصفّ المقلوب، لإتاحة الفرصة الكاملة لدى الطلبة للتأمّل في الأعمال التي سيقدّمونها. وخلال الحصّة الدراسيّة نعزّز دور الطلبة الجالسين، خصوصًا عند الاستماع إلى ما يقدّمه زميلهم، ثمّ تقديم التغذية الراجعة (المعايرة) لما قدّمه من عمل وأداء. والأداة الرئيسة المطلوبة هنا ورقة عمل تتضمّن معايير تخدم دقّة تقييم زميلهم. على سبيل المثال، تتضمّن ورقة العمل معايير تقييم مثل "شيء أثار انتباهي"، أو "لديّ تساؤل"، أو "ماذا لو...؟" بهذه الأسئلة نعطي الطلبة المستمعين فرصة التفكير الإبداعيّ في عمليّة تقييم عمل زميلهم، والفهم العميق للمعايير التي يعتمدون عليها في دراستهم، بدلًا من جلوسهم من دون انتباه أو تركيز في الحصّة، بما يكسر حالة الجمود، ويسمح بتبادل الطلبة الحديث والتعليق المنهجيّ القائم على معايير واضحة.

تعزيز العدالة والمساواة

ساعدتني مهارة المعايرة في تحقيق العدالة والمساواة بين الطلبة، وأسهمت في إيصال الفكرة من الدرس وتحقيق أهدافه المرجوّة؛ إذ جعلتني متأكّدًا من سلامة المعرفة والفهم عند الطلبة، ومنحهم الفرصة نفسها في التعلّم. كما شعرت بأنّ الجميع على دراية بالمعايير التي يتعلّمون بها في مادّة اللغة العربيّة، إضافة إلى أنّها ساعدتني كثيرًا في العمليّة البنائيّة لتخطيط الدروس والمنهاج، ومنحتني زاوية جديدة أنظر منها إلى الصفّ والطلبة.

إذابة الفروق الفرديّة بين الطلبة

في الحقيقة، ومن تجربتي الشخصيّة، شعرت بأنّ تطبيق المعايرة بين الطلبة في الحصص الصفّيّة يساعد في تقليل الفجوات التي نراها بينهم؛ إذ تُعدّ المعايرة سببًا في تبادلهم الخبرات وتوحيد مستوى المعرفة والفهم إلى حدّ ما. وعند اختيار الطلبة، أحاول

التنويع في المستويات بين من يلبّي التوقّعات، ومن يفوق التوقّعات، ومن هو قيد التطوّر.

تعزيز روح التعاون في الفريق

ما أسعدني داخل الحصّة الصفّيّة كان مظاهر التعاون بين الطلبة أثناء قيامهم بالمعايرة، وتحمّلهم المسؤوليّة في قيادة تعلّمهم في مواقف مختلفة. كان الصفّ بيئة داعمة للتعلّم وقائمًا على الاحترام المتبادل، ما ميّز الحصّة بروح الفريق الواحد المتجانس، وأكّد حضور قيمة التعاون بين أفراد الصفّ، بوصفها سلوكًا داعمًا لتنمية تطوّرهم في العمليّة التعلّميّة.

استعداد الطلبة للتقييمات النهائيّة

ومن الجدير بالذكر أنّ تعرّض الطلبة إلى عمليّات معايرة متعدّدة ومتنوّعة ومستمرّة، يجعلهم أكثر استعدادًا للتعامل مع التقييمات النهائيّة التي قد تكون أكثر تحدّيًا، وسببًا في القلق لدى البعض. إنّ التعرّض إلى أنماط مختلفة من الأسئلة وإلى تقييمات متنوّعة، يساعد الطلبة في التأقلم مع متطلّبات التقييمات النهائيّة، ما يقلّل من التوتّر ويزيد من ثقتهم في قدرتهم على النجاح. فكلّما ركّزنا على عمليّة الاستعداد، ارتفعت نسبة النجاح بين الطلبة، واستطعنا مساعدتهم في اجتياز المرحلة الثانويّة بكلّ ثقة واقتدار، لتصبح الأمور أكثر سهولة ومرونة داخل المثلّث التعليميّ (المعلّم، الطالب، الأهل). وهذا يعود بالنفع على الجميع، إذ يطبّق المعلّم دوره بوصفه ميسّرًا وموجّهًا للحصّة. ويعلو صوت الطالب داخل الحجرة الصفّيّة، فيعبّر عن رأيه ويقود العمليّة التعليميّة ببراعة، ما يجعل شعور وليّ الأمر بالراحة والاستقرار النفسيّ الشعور السائد، لما يراه من تقدّم ملحوظ في أداء ابنه وهو يخوض مثل هذه التجارب في المدرسة.

الإجابات النموذجيّة ووضوح المعايير ونجاح المعايرة

ممّا لا شكّ فيه أنّ من أهمّ عوامل نجاح المعايرة بين الطلبة وجود إجابة نموذجيّة ووضوح المعايير؛ فهما المنارة التي يهتدي بها الطلبة للوصول إلى التصحيح السليم، وهما الفيصل في مناقشاتهم التي قد تدور أثناء المعايرة. فمن الطبيعيّ، بل من السليم والصحيح أن يدور بينهم الحوار والمناقشة، بهدف التعبير عن آرائهم وتبادل الخبرات. ولأنّ من شروط سلامة المعايرة واكتمالها وجود إجابة نموذجيّة واضحة، ومدعومة بمعايير البرنامج الخاصّ بكلّ مادّة، يُعتمد في تقييم مادّة اللغة العربيّة، على سبيل المثال، على معايير اللغة والأدب أو اكتساب اللغة.

الرؤية المستقبليّة للمعايرة

نشجّع على اعتماد مهارة المعايرة بين الطلبة في العمليّة التعلّميّة، وأن تكون هذه الاستراتيجيّة ركيزة أساسيّة يُعمل بها في الحصص الصفّيّة، وأن تُثبّت في أهداف الوحدة والخطّة الدراسيّة اليوميّة، وتكون جزءًا من الأنشطة الصفّيّة. وعندما تُطبّق بهذا الشكل المتكامل، تصبح الممارسة أكثر فعّاليّة، ما يعزّز ربط الطلبة بالواقع.

***

في ختام الحديث عن أهمّيّة مهارة معايرة التقييمات بين الطلبة في نظام البكالوريا الدوليّة، يمكن القول إنّ لهذه المهارة دورًا حاسمًا في تحسين جودة التعليم وتعزيز العدالة والمساواة، عن طريق التركيز على التحليل والنقد، وتشجيع الطلبة على التعاون. هذا سيجعلهم أكثر استعدادًا للتقييمات النهائيّة، ويسهم في خلق بيئة تعليميّة أكثر شموليّة وفعّاليّة. لذلك يُعدّ اعتماد هذه المهارة جزءًا لا يتجزّأ من النجاح الأكاديميّ والتطوّر الشخصيّ للطلبة داخل إطار برامج التعلّم الدوليّة.

صهيب زعارير
منسّق ومعلّم لمادتي اللغة العربيّة والتربية الإسلاميّة - الأكاديميّة العربيّة الدوليّة
قطر/ الأردنّ